

## □ الشعر الإلهي عند شاعر الإنسانية المؤمنة

عمر بهاء الدين الأميري

د/عبدالله لاطرش  
كلية الآداب و اللغات  
جامعة تلمسان

### تلخيص:

يتفرع الشعر الديني عند عمر بهاء الدين الأميري إلى ثلاثة محاور :

- الشعر الإلهي

- الشعر النبوي

- شعر القيم الروحية و الإنسانية

والشعر الإلهي هو نظم مفعم بالحب الصادق لله الخالق ، ومناجاة روحية عالية فيها أشواق و أذواق؛ يعمد الأميري من خلالها طلب القرب والضلة بالإله العظيم ، ونبني في نفوس الناس الارتباط بالعقيدة الصحيحة ؛ ولذلك نجدته يؤلف دواوين ويكتب القصائد المتناثرة في المجلات و في الاحتفاليات بمناسبة و غيرها...

### abstraction :

Religious poetry is divided at Omar Baha-Eddin Amiri to three branches:

- Divine poetry .
- Prophetic poetry.
- Spiritual values and humanity.

poetry Divine poetry is an organize replete with sincere love of God the Creator, and high monologues spiritual where longings and tastes ; Amiri baptizes which asked proximity and relevant Almighty God, and develops in the hearts of people correlation correct doctrine ; therefore we find it composes divans and writes poems scattered in magazines and in the festivities on The occasion or otherwise ...

لقد أولى الأميري عناية فائقة بهذا النوع "الشعر الإلهي" وأعطاه حظاً وافراً من مشاعره وعواطفه وفكره، فألف ديوانه الرائع "مع الله" ثم "قلب ورب" وهو امتداد للأول، لأنه كان يؤمن بفكرة أن استقرار الإنسانية وراحته في معرفة الله الحق، والقرب منه واستلهم العون والتوفيق منه، ولأن رسالة الشعر خاصة الإسلامي منه تسعى لبناء تلك العلاقة بين الإنسان وربّه وتمتينها وتقويتها، وهنا "فإنّ الشعر يلتقي مع القيم لأنّها يسعيان إليهما، ولذا فإنّ الشعر فضيلة تتغنى بالقيمة الروحية المطلقة، وشعور يحرك الحب الإلهي في الإنسان، ويدفع بالفكر إلى أعماق الخبايا النفسية، وتجربة تهيم بها الروح في محبة الله سبحانه وتعالى"<sup>1</sup>.

فقد ذكر بعض الشعراء القدامى في أشعارهم عرضاً تأملياً لا نظماً كاملاً في بيتين أو ثلاثة، هذه القيمة الروحية -معرفة الله- حاجة في أنفسهم، دون التعمق أو البحث في كتبها.

نذكر من هؤلاء لبيد بن ربيعة في قوله:

<sup>1</sup> محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط6، ص138.

وكلُّ نعيمٍ لامحالة زائلٌ  
دُوَيْبَةُ تصفَّرُ منها الأناويل<sup>1</sup>

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ  
وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم

كما أنَّ زهير بن أبي سلمى قال أيضاً:

إلى الحقِّ تقوى الله ما قد بدأ لياً<sup>2</sup>

بدا لي أن الله حقُّ فزادني

وأمية بن أبي الصلت في قوله:

وربُّ الراسياتِ من الجبال  
بلا عمَدٍ يزيّن ولا رجال  
من الشمسِ المضيئةِ و الهلالِ  
عيوناً وأنهاراً من العذبِ الزلالِ<sup>3</sup>

إله العالمينَ وكلُّ أرضٍ  
بتأها وابتنى سبعاً شداداً  
وسواها وزيتها بنورٍ  
وشقُّ الأرضِ فانبجست

إنَّ أولَ خاصيةٍ يمكن الوقوف عليها في شعر الأميري في موضوع الصلّة مع الله، هي اتخاذه الفكر وسيلة وطريقة لبناء صلة الإنسان بربه، "وذلك لأنَّ الفكر يقود الإنسان إلى استكشاف عظمة الله تعالى في خلقه، ومن ثمَّ يأتي البصر دليلاً عملياً على رؤية هذه العظمة في المخلوقات والظواهر التي أوجدها الله تعالى، وتتسع هذه الصلّة لتوجد في الإنسان حالة من الشعور والإحساس العالي"<sup>4</sup>، يقول الأميري:

مع الله في لمحات البصر  
مع الله في نبضات البهر  
مع الله في الحلجات الأخر  
مع الله عند امتداد السهر<sup>5</sup>

مع الله في سبحات الفكر  
مع الله في زفريات الحشا  
مع الله في رعشات الهوى  
مع الله مطمئن الكرى

إنه هنا يقتر حقيقة مطلقة يريد من البشرية معرفتها وإدراكها، إنَّها معية الله المسيطرة والمهيمنة، وهي بالمناسبة حقيقة قرآنية، يقول تعالى: «**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله إنَّ الله واسعٌ عليمٌ**»<sup>6</sup> إن حقيقة التوحيد، وعبادة الله وحده تتردّد في شعره ونثره، فيتردّد صداها في جنبات القصائد محرّكاً حالة إيمانية عظيمة وطاقاة روحية قويّة، يقول "الحقيقة الكبرى تزداد استقراراً في كلّ ذرّات تكويني، عقلاً وقلباً وشعوراً هي- وحدانية الله سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته- وهي أمّ الحقائق وكبرى عقائد الوجود"<sup>7</sup>.

كما أنَّ الدّعاء والرّجاء من سمات شعر الأميري الذي يتغنّى بصلّة العبد بربه، فمثلاً قصيدة "نشور" يقول في خاتمتها:

ويا عالماً بخفايا الصّـدور  
كياني ويلهب قلبي بنار ونور  
وأطلق يدي في عنان الدّهـور

فيا ربِّ يا بارئ الكائنات  
ألست ترى الهمّ يشـوي  
فكفّ لبأسي قيود الزّمان

<sup>1</sup> لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد، تح: بروكلمان، ليدن 1991، ص28.

<sup>2</sup> زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1944، ص288.

<sup>3</sup> أمية بن أبي الصلت، الديوان، بيروت: المطبعة الوطنية 1934، ص49.

<sup>4</sup> الأميري - مع الله - ص41.

<sup>5</sup> الأميري، المصدر نفسه، ص119.

<sup>7</sup> سورة البقرة، الآية: 115

<sup>7</sup> وقفة مع الشاعر والمفكر عمر بهاء الدين الأميري، مقابلة، حوار طه أمين، مجلة النهضة، العدد 1066، السبت 1988/04/09.

وهب لي من الحزم والعزم أمراً  
 إنَّ العبادات ومنها مثلاً الفرائض، تمثل حقلاً خصبا لبناء صلة متينة وقوية بين الشاعر وربّه، يقول:

عبدك يا ربّاه	لبي واعتمــــر
طوّف بالبيت	العتيق وذكر
دعاك في السعي	وصلّى وشكر
عبدك يا رباه	ذو الذنب عمّر
فاغفر له إنك	أولى من غفر <sup>2</sup>

يستثمر في عبادة "العمره" فيلهج لسانه بهذه الترابطه مع الخالق عزّ وجلّ راجيا منه الغفران والتوبة. كما نجد قيمة الخضوع والتذلل لله تعالى هي الأخرى من سمات هذا الشعر الذي يتلأأ حباً وقرباً لله العظيم، يقول:

إنّ ربّاً خلق الكو	من وما فيه جميعا
لا يؤدّي حقّه قطّ	سُجوداً وركوعا
وطوافاً واعتكافا	وقضاء الوقت جوعا
إنّا تلك رموز	من ذوي الألباب ثوعى
حققتنا بالعبودية	.. لله، خضوعا <sup>3</sup>

يصف لحظة في غاية الروعة حينما لا يستطيع أن يمسك عن الدعاء، وهو بين يدي العزيز الرحيم، فيقول:

أعيش صراع العمر بين سبّيتي	ودنياي فارحني فأنت مجيد
وخذ بيدي، واجعل إليك توجّهي	سويّاً، فقصد السالكين حميد
وكن في اعترابي المرّ مؤنس وحشتي	فإني في لبّ الزحام وحيّد
إلهي وجاهي وأكناهي وبارني	إليك التجائي والرجاء أكيد
أقول -على علم بسوء تأدّبي-	إلهي ترقق بي ولست أزيد <sup>4</sup>

لقد ظلّ شعر الدعاء عنده متقدداً ومتجدداً حتى آخر حياته، فيها هو ذا في التسعين يهتف:

يا ربّ يا ربّ عبد في صدّي وطوى	مولاه نائس من غربة لنوى
تداولته أكفّ الدهر وانطـلقت	تسعى به هائماً في لهفة وجوى
قلب مواجهه في خفقة ضرعت	تدعو وتدعو وترجو للليل دوا
الجسم سبعينه بالعبء مثقلة	لا تستريح وهمّ الون فيه ثوى
عن الدّنى نفسه قد أعرضت وذوت	يا ربّ فاجعل له فيما تحبّ هوى <sup>5</sup>

إنّ مختلّة الشاعر الصافية تجعله يذهب بعيدا في تصوّر علاقته برّبّه، فهو يثق تمام الثقة بأنّه يرى مولاه وخالقه بقلبه، من

<sup>1</sup>الأميري، مع الله، ص 113.

<sup>2</sup>الأميري، مع الله، ص 109.

<sup>3</sup>الأميري، المصدر نفسه، ص 114.

<sup>4</sup>الأميري، ابتهاج إلى الله (قصيدة)، المجلة العربية، السنة 16، العدد 176، مارس-أفريل 1992، ص 53.

<sup>5</sup>الأميري، مقطوعه (في العبء) جريدة الدستور، 1989.

زاوية صفاته الجميلة التي أودعها في مخلوقاته الكثيرة والمتعددة، فتبعث هذه الرؤية السامية في نفس شاعرنا الانشراح والتعادة لدرجة أنه يقتر أن لا شيء أمام عزة وجلال الواحد الأحد، يقول:

كيف لا أومن بالله، وهل  
كيفلا أبصره في خلقه  
كيف لا أحيأ به والروح من  
كيف لا تسعد نفسي بسنا  
وأنا، في سر كنهني من أنا؟  
لذوي الأبواب فيه مُلتبس  
في الضحى، في الفجر، في جُح الغلس  
أمره، في غور ذراتي ابتجس  
نوره لـ ترديد نفس  
أنا من إبداعه السامي قبس!<sup>1</sup>

يبدع الأميري حينما يوجهنا إلى فهم معادلة التجاح في الحياة، والوصول إلى تحقيق الغايات، لأن الصلة السلية مع الله شرف الإنسان وكرامته، وباب الوصول وإنجاز المأمول، يقول:

كن معالله، وابتغ الله وحده  
واجعل الله خلق قلبك حمداً  
ورجاء .. وخشية ومودّة  
وافن في حبه إن استطعت  
فوق عمر الحياة ما شاء خلقه  
العين، واجعل القرب من إلهك سجده  
منه، واقدح به لروحك زنده  
لتجليه، مُدّة إثر مدّه  
التعبد والمجد أن ترامق مجده  
الله سواك منذ سواك عبده.<sup>2</sup>  
كابد الوجد بالذي لاتراه  
هو نور السماء والأرض فاقتبس  
وتنفس بذكره، وتلبّث  
ذروة العز والسمو وأوج  
وعلاك الأرقى أيا حرّاً أنّ

إنّ لقب "شاعر الإنسانية المؤمنة" الذي أطلق عليه كان منذ صدور ديوانه "مع الله" حتى عرف به، ولم يعترض عليه أحد، ولهذا اللقب قصة، حيث اتصل به قنصل ألمانيا في حلب، يريد شراء نسخ من ديوانه "مع الله" طلبها عدد من الأدباء والشعراء الألمان، وجلّهم من المستشرقين فأهداه الأميري النسخ المطلوبة، فجاءه بكتاب يتضمّن تقديراً وشكراً ثم وصلتهم النسخ، ثم زاره القنصل وقدم له نسخة من مختارات الشعر الألماني الإلهي، مهداة إلى صاحب ديوان "مع الله" إلى الإنسان المؤمن، الذي استطاع أن يعبر في هذا الزمن المادي عن مشاعر الإنسانية المؤمنة بأسلوب غير محلي، وبطريقة إنسانية عامة، فأطلق عليه الذين اطلعوا على الكتاب من الأدباء وأهل الصحف هذا اللقب، ثم تداوله المهتمون بهذا الشأن حتى استقر<sup>3</sup>.

يقصّ الأميري أيضاً علينا ارتباطه القوي بالشعر الإلهي، في مقدمة ديوانه "قلب وربّ" والتي عنونها (على عتبة الديوان: خواطر.. ومشاعر)، "وأنهيت في جدّة إعداد "قلب وربّ" ثالث دواوين شعري الإلهي بعد "مع الله" و"إشراق" ويصنّفه مشكولاً بخطّي وكتبت مقدمات صغيرة لجل قصائده وشرحت بعض كلماتها..<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الأميري، مع الله ص 61.

<sup>2</sup> الأميري، قلب ورب ص 16.

<sup>3</sup> لقاء مع بهاء الدين الأميري، مقابلة- حوار: مصطفى بن شقرون، مجلة المسلمون، السنة 8، العدد 379، الجمعة 1992/5/8، ص13.

<sup>4</sup> الأميري، قلب ورب، دار القلم دمشق ودار الشامية بيروت، ط1، 1990، ص7، 8.

وينهي هذه المقدمة بعبارات الحمد والتناء تفصح عن روحانيته وعن صلته القويّة برّبّه، فيقول:  
 "وبعد: فأجدني قد سجّلت جلّ ما أردت، وقد تكون شردت عنيّ بعض الخواطر في غمرة ما تؤجّجه أجواء الحرم  
 من مشاعر فالله بالغ الحمد على ما أولاني من إحسانه، وأسأله العفو والعافية والمدد لاستمرار العمل وسداد الأمل، إته  
 سميع مجيب، إته الرّب، له القلب وشعر القلب وصاحب القلب، قدّوس سبّوح ربّ الملائكة والروح"<sup>1</sup> إننا حينما نقرأ  
 قصيدة "لا شريك له" نخلص إلى أن الأميري تسيطر على كيانه وروحه فكرة صدق التوجّه نحو الله، والارتكاز على  
 العقيدة الصحيحة،  
 يقول:

علمتني الحياة أن ابتغاء الله	فذا في كلّ شأن وقصد
يبلغ المرء سؤله ومناه	وسواه - مهما ادعى - ليس يجدي
كم تحرقت من لواج وجدي	ثم، بالله، كان يسكن وجدي
ولكم ضقت بالتوحد ذرعاً	ثم بالله لذلي العيش وحدي
كم طلبت العلا، وأنفقت فيها	عنفوان الصبا، وغاية جُهدي
فاستحالت عليّ، حتى طلبتُ	الله - عبداً حراً - وإذ هي عندي
كم بذلت الحياة.. أسعى وأسعى	أستحثّ الخطأ لمجد وسعد
دون جدوى... حتى تجلّى إلهي	برضاه، فكان سعدي ومجدي
أيها التاجر المراوغ دنياه	ليصطادها بصفقة عقدي
دعك من وهما وزور جدها	فجناها مرّ بعشرة شهد
واتجر مرّة مع الله تغنم	فوق دنيا الفناء جنة خلد <sup>2</sup>

يوظف الأميري لغة العشق بمهارة عالية في التعبير عن حبّه وتعلّقه بالمولى عزّ وجلّ.  
 يقول:

عبدك الحرّ محبّ هائم	شاردٌ عن لبّه في حبّه. <sup>3</sup>
----------------------	-------------------------------------

كما يقول أيضاً:  
 هو طيّب وروح قلبي، وحيّي  
 وحياتي هو الرجاء الرجاء.<sup>4</sup>  
 مع كل هذا التعلّق والارتباط بالمعيّة الإلهية، إلاّ أنّه يعترف بالتقصّ والصّعب والشّرد.  
 يقول:

أهواك.. وأغفل عن مُثلي	عليا لهواك.. وأواكا
لانكصاً في الدرب، ونقصاً	في الحبّ، ونقصاً لِرِضاكا
لكنّ شرداث العين وقد	أعشاها إشراق سنّاكا
ويقينني أنّك رحمان	بالرّافة عمّ الأفلاكا

<sup>1</sup> الأميري، المصدر نفسه، ص 32.

<sup>2</sup> الأميري، المصدر السابق، ص 35، 36، 37.

<sup>3</sup> الأميري، إشراق، ص 184.

<sup>4</sup> الأميري، المصدر السابق، ص 218.

وشعوري أتي إنسان  
ولأنه يفصح عن قصوره وضعفه الناشئ أصلاً عن طبيعته البشرية فإنه يختار اسم "الرحمن" لمخاطبة ربه ومناجاته، لعله يرحمه برحمته الواسعة.

يدق الأميري باب الملك الديان، متوسلاً بعبادة "حب الله" والتوّد إليه طالبا الشفاعة من ربه الودود، يقول:

..يا حبيبي .. أنا عبد  
أنت في خفق جناني  
فإذا جاوزت حدي  
يا حبيبي أنت ربي  
وكياني ، ملء قلبي  
أفلا يشتفع حيي<sup>2</sup>

وعندما تتصفح شعره الإلهي سنجد فكرة محورية يعود إليها وتشغله في معظم أشعاره وهي: "خلافة الإنسان في الأرض".  
ففي قصيدة "ملحمة الجهاد" يقدم لنا حواراً شيقاً عن قصة النشأة، يقول:

قال: إني جاعل في هذه الأرض خليفه  
نحن في أفلاك مجدك  
يا مليك من ملك  
نحن في تسيح حمدك  
قال: إني عالم الغيب وما لا تعلمون<sup>3</sup>  
واله الكون في حكمته أي حسيفة  
كما يقول أيضاً:

ويلي أنا الإنسان حمم  
المسلم المستخلف الر  
ال الشدائد والأمانه  
بان قطب رحي الوجود<sup>4</sup>

فهو يدعو على نفسه بالويل "متناساً مع الوصف الوارد في قوله تعالى" (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)<sup>5</sup>.  
وفي موطن آخر، يقرّر هذه السمة بوضوح وجلاء.  
فيقول:

يا عبد خلاق العوال  
انت الخليفة إنمما  
يتسلسل الدوران في  
فاعرف حدودك وهي مع  
لم أنت أنت الحرّ، فافقه  
لمدى، وقد كونت وفقه  
ه، وأنت في الدوران حلقه  
راج فسيح البون وارقه<sup>6</sup>

في قصيدة "في الطريق" يوغل الأميري في نزعتة الشخصية (المتخيلة) فيلتمح إلى تحويل مفاتيح المشكلات التي تعانيها الإنسانية إلى يديه المغلولتين، ويفصح إلى أنه لو كان له جند يأمرون بأوامره لقام بإصلاح ما فسد من أمر البشر.

يقول: يا ربّ، كيف أعيش في شدق الردى  
روحني يضح عزمة وإرادة  
أم كيف أصنع موتنا إحياء  
ودمي يفور تحفزاً وإباء

<sup>1</sup> الأميري، المصدر نفسه، ص 77

<sup>2</sup> الأميري، المصدر السابق، ص 277.

<sup>3</sup> الأميري، ملحمة الجهاد (قصيدة)، دار البيان، الكويت 1967.

<sup>4</sup> الأميري، حجارة من سجيل، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ص 93.

<sup>5</sup> سورة الأحزاب، الآية 72.

<sup>6</sup> الأميري، قلب ورب، ص 115.

جندٍ؟ وأقهر وحدي الأعداء  
بيد القضاء، وضغته أنت قضاء  
لا مبتلى، وارقد به الشهداء<sup>1</sup>

لكنني وحدي! فهل أجدي بلا  
يا رب، فاستخدم عبيدك صارماً  
أو فاجبهُ لقياك في أوج الرضا

### عوامل اهتمام الأميري بالشعر الإلهي والروحي:

- 1\_ الفطرة الدينية التي تربي عليها: يقول الشاعر عن نفسه "بدأت أكتب الشعر الإلهي متأثراً بأجواء التأمل والمطالعات والتجليات الإيمانية التي كانت تلم بي"<sup>2</sup>، ولعله يقصد تلك الحالة الإيمانية العالية من الصفاء والسكينة: يقول: "ما كان ديواني (مع الله) سوى نفاتح من شعوري و فكري في دقائق الصفاء والإشراق"<sup>3</sup>.
- 2\_ تأثير الدراسة الدينية التي تلقاها بالمدرسة الفاروقية، حيث كانت تعطي أهمية خاصة للتربية الإيمانية من خلال حلقات التهذيب وأيضا انتسابه لجماعة الميثاق ورابطة شباب محمد مما أكسبه سلوكاً وتربية شاملة جعلت منه شخصية عالمية.
- 3\_ وجوده بالخارج، حيث وهو بباكستان سفيرا لبلده سورية اطلع على الأدب الإسلامي ذو النزعة الروحية والإنسانية وبخاصة أعمال الشاعر الكبير محمد إقبال، ثم سفيرا بالسعودية فكان قريباً جداً من أشرف مكانين هما الحرم المكي والحرم المدني فتنشق نسائم الإيمان الصافي وعاش أشواقه ومناجاته وهو بالحرم.
- 4\_ حبه للعزلة وتفضيله للخلوة في أوقات كثيرة، يقول عن جبل الأربعين الذي كان يلجأ إليه كثيراً " اتخذته دار عزلتي، ألوذ به من وعثاء الزمن ومنقصات العيش في حلب، حلستا من خريف، وأياما من ربيع، أفرغ فيها لذاتي، طلقا من أسار الناس، أعدت لنفسي أبسط الطعام، أحيا على السجّية، وأطلق مع الشعر، هو في غربته يأنس بي، وأنا في لحنه أشكو الدنيا...أسكب المشاعر شعرا من كان حزاناً"<sup>4</sup>.

### الخلاصة:

إن اهتمام الأميري بالشعر الإلهي نابع من إيمانه العميق والتراخي بأن الشعر رسالة والتزام، فما جدوى أن يقول الشعر ويتغنى بما حوله من العوالم والأشياء والأشخاص ويعيش فراغا روحيا و تيبها عقائديا يجعله هو والخراب سواء، إن ذكر الله وتقديسه وتسبيحه ومناجاته شعرا بالنسبة للشاعر كان مصدر سعادة وراحة نفسية جلبت له السكون والاستقرار فوجد ذاته وعرف كنهه و قيمة وجوده.

<sup>1</sup> الأميري، نجاوى محمديّة، ديوان (نبوي)، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ط1، 1988هـ، ص 304 / 305.

<sup>2</sup> أنظر، شاعر يتحدث، تح: إبراهيم عبدالله مرجانة، السنابل، السنة 8، العدد 353، 7 أبريل 1961، ص12

<sup>3</sup> عمر بهاء الدين الأميري شاعر الإنسانية المؤمنة، حوار كمال جعفر، الخليج اليوم، 11 أبريل 1987

<sup>4</sup> مقدمة ديوان ألوانطيف، ص 22\_ 23